



آليات الاجتهاد في الشريعة الإسلامية
بالغرب الإسلامي خلال العصر الحديث
النوازل الفقهية نموذجاً



عبد الرزاق العساوي

* على سبيل البدء

يتميز التشريع الإسلامي بالحيوية والدينامية، فهو قادر على استيعاب قضايا مستجدة في أزمنة وأمكنة مختلفة؛ إذ يستند في صياغة أحكامه التشريعية إلى نصوص الوحي التي تشكل منطلقًا لبناء التصورات وتحديد قواعد الفعل والسلوك، مع الأخذ بعين الاعتبار الظرف التاريخي الذي واكب نزول النص^(١)؛ مما يُمكن من تحقيق مناط الحكم الشرعي، بعيدًا عن المفارقات التاريخية والمنزقات المعرفية، ومن ثم تجنب الأحكام الخاطئة.

وجدير بالذكر أن الشاطبي قد أولى منذ القدم اهتمامًا كبيرًا بالعلاقة التبادلية بين النص والواقع، وفي هذا الصدد يذكر أن "كل دليل شرعي مبني على مقدمتين: إحداهما راجعة إلى تحقيق مناط الحكم، والأخرى: ترجع إلى نفس الحكم الشرعي. فالأولى

(١) لؤي صافي، العقيدة والسياسة، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية (الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ٢٠١٣)، ص. ١٥١-١٥٨.

نظرية. أعني بالنظرية هنا ما سوى النقلية، سواء علينا أثبتت بالضرورة أم بالفكر والتدبر؛ ولا أعني بالنظرية مقابل الضرورية. والثانية: نقلية. وبيان ذلك ظاهر في كل مطلب شرعي، بل هذا جارٍ في كل مطلب عقلي ونقلي. فيصح أن نقول: الأولى: راجعة إلى تحقيق المناط. والثانية: راجعة إلى الحكم؛ لكن المقصود هنا بيان المطالب الشرعية. فإذا قلت إن كل مسكر حرام، فلا يتم القضاء عليه حتى يكون بحيث يشار إلى المقصود منه ليستعمل أو لا يستعمل (...). فلا بد من النظر في كونه خمراً أو غير خمراً، وهو معنى تحقيق المناط^(١).

وإذا ما حاولنا إيجاد إطار عملي للمقولة السالفة الذكر، فإنه يمكن القول إن أوضح تجسيد لها في الغرب الإسلامي هو فقه النوازل. فقد عمل فقهاء المالكية على صياغة أحكام شرعية بناء على اجتهادات تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات البيئة المحلية، فكان نتاج ذلك أعمال فقهية قيمة دُوّن العديد منها في إطار مؤلفات مرجعية، شكلت منظومة تشريعية متكاملة للفقهاء اللاحقين لاستنباط الأحكام، مما أتاح للمؤرخين والقضاة وعلماء الاجتماع مادة مهمة، أماطت اللثام عن جوانب مهمة من حياة مجتمعات الغرب الإسلامي.

باختصار، ينطلق هذا المقال من سؤالين جوهريين، هما: ما مظاهر البعد الاجتهادي للنوازل الفقهية في منطقة الغرب الإسلامي خلال العصر الحديث؟ وكيف أسهمت هذه النوازل في تكريس نزعة "الاحتضان" و"التجوير" لدى المفتي بدلاً من أسلوب "التحريم" و"الاستنكار" و"الإبادة"؟ وللإجابة عن هذين السؤالين، فإننا سنقسم هذا المقال إلى محورين رئيسيين: أولهما، نظري، سنستعرض من خلاله نبذة تعريفية بفقه النوازل وخصائصه وأهم مصادره في منطقة الغرب الإسلامي. وثانيهما، تطبيقي، سنشتغل فيه على مؤلفين مرجعيين

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، م. ٣٠ (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٥)، ص. ٤٣-٤٤.



ضمن مؤلفات فقه النوازل بالغرب الإسلامي خلال الحقبة الحديثة، ويتعلق الأمر بنوازل عبد العزيز الزيات حول منطقة غمارة^(١) المعنونة: **الجواهر المختارة لما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة^(٢)**، وهي تهم القرن ١٦م و١٧م، إضافة إلى نوازل الفقيه الورزازي^(٣) التي يعود تاريخها إلى القرن ١٨م.

★ فقه النوازل في الغرب الإسلامي

١. تعريف فقه النوازل وتطوره التاريخي

النوازل لغةً: جمع نازلة والنازلة هي الشديدة من شدائد الدهر التي تنزل بالقوم. أما اصطلاحاً: فنعني بالنوازل الوقائع والمسائل المستجدة التي تنزل بالعالم الفقيه، فيستخرج لها حكماً شرعياً، كما تسمى بالأحكام والفتاوى والعمليات والأجوبة، وهي من أبواب الفقه الضرورية للناس تجيبهم عن مسائلهم وتبين لهم الحلال والحرام في قضاياهم^(٤).

يتصدى للنوازل عدد من العلماء المجتهدين الذين يطلق عليهم اسم الفقهاء النوازليين، الذين ينبغي أن تتوفر فيهم شروط الاجتهاد المعروفة، إضافة إلى الملكة الفقهية وسعة الأفق والدُّربة على الفتوى والاستنباط، مع الفطنة والذكاء والمعرفة الفائقة والخبرة الواسعة بأحوال الناس

(١) عرفها محمد داود كالاتي: "بلاد غمارة - أو جبال غمارة أو القبائل الغمارية - والمؤدى واحد، هو مجموع تسع قبائل، كل واحد منها لها اسم خاص وحدود معروفة، وتوصف بأنها غمارية، وكل واحد من أهلها يقال له غماري". انظر:

محمد داود، تاريخ تطوان، مراجعة وإضافات حسناء محمد داود، ج. ١١ (تطوان: جمعية تطاون أسمير، ٢٠٠٩)، ص. ٢٨.

(٢) عبد العزيز الزياتي، الجواهر المختارة لما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، مخطوط، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، د-١٦٩٨.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الله، النوازل، مخطوط، المكتبة الوطنية، د-١٨٤٧.

(٤) مسفر بن علي، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة (بيروت: دار الأندلس ودار ابن حزم، ٢٠٠٣)، ص. ٨٨.

وعوائدهم. ومن المعلوم أن الفقه والنوازل نشأ معًا، فقد كان حاول الرسول (ﷺ) الإجابة عن مختلف الأسئلة التي كانت تطرح عليه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ (النساء الآية ١٢٧). غير أنه بعد وفاة الرسول (ﷺ) طُرحت أمام المسلمين مجموعة من القضايا المستحدثة، مما شجع على ظهور الفقه خلال القرن الهجري الأول الذي أصبح علما مستقلاً تؤسس له الأصول، وتستنبط منه الفروع، وتعدّد له المجالس المشهودة في مساجد المدينة والكوفة وبغداد وغيرها.

وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين، شهد الفقه أزهى عصوره، حيث برزت العديد من الاجتهادات الفكرية، كما نشأت المذاهب الفقهية الرئيسية في الإسلام، غير أن هذا الازدهار لم يستمر طويلاً؛ إذ سرعان ما دخل الفقه الإسلامي مرحلة جمودٍ انطلقاً من القرن الرابع الهجري، فأقفل باب الاجتهاد. ثم ازداد الوضع تأزماً خلال القرن الثامن الهجري، بفعل الأحداث التاريخية التي عرفتها المنطقة الإسلامية، وفي طليعتها الغزو المغولي واحتلال مدينة بغداد سنة ١٢٥٨م.

لكن بالموازاة مع هذا التراجع الذي شهده الفقه، ظهرت النوازل باعتبارها فرعاً مستقلاً من فروع الفقه، يغلب عليها الطابع الاجتهادي المذهبي، وهي لا تشتمل إلا على المسائل التي حدثت بالفعل ولا تتناول من المادة الفقهية إلا الأحكام المتعلقة بهذه المسائل، مع ترك هامشٍ مهمٍ فيها لاجتهاد المفتي داخل فقه مذهبه^(١).

(١) للمزيد من التفاصيل راجع:

عبد العزيز وصفي، «فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة، أهميته وخصائصه ومميزاته»، مجلة الشهاب، ع. ٤ (ربيع الثاني ١٤٤٠هـ / دجنبر ٢٠١٨)، ص ٢٢٧ - ٢٩٦.



٢. خصائص فقه النوازل ومناهج كتبه

تتميز كتب النوازل بالخصائص التالية:

- الواقعية ومسايرة تطور الحياة: ينطلق الفقيه النوازلي في استنباط أحكامه من وقائع حقيقية رفعت إليه من قبل شخص معين أو مجموعة من الأشخاص، مما يمكنه من مسايرة تطور الحياة العامة، ومواكبة مستجداتها، وحل المشاكل التي يواجهها المجتمع.
- مراعاة أحوال المكلفين وتغير عاداتهم وأعرافهم.
- تنوع أبوابها، فهي تتناول مواضيع مختلفة (العقيدة / العبادات / المعاملات...).
- التجدد المستمر، فلكل نازلة زمانها ومكانها ومصالحها ومفاسدها، مع اختلاف أحوال المكلفين وبيئاتهم.
- تعدد طرق التأليف: تختلف كتب النوازل فيما بينها شكلاً ومضموناً، فمن حيث الشكل نجد بعضها من تأليف الفقيه الذي كتب الفتاوى، وهو حال غالب كتب النوازل، وبعضها تركه المفتي مشتتاً في أوراق جمعها في حياته أو بعد وفاته أحد أبنائه أو تلامذته.

أما من حيث المنهج، فيمكن التمييز بين ثلاثة أصناف من كتب النوازل: أولها يضم الكتب التي ألفها أحد الفقهاء المفتين، وجمع فيه أجوبته وأجوبة غيره من معاصريه أو السابقين له من مختلف مناطق البلاد، ثم رتبها على أبواب الفقه المعروفة، مثل مؤلف الونشريسي المعنون **المعيار المُعرب والجامع المُعرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب**، الذي جمع فيه فتاوى علماء الأندلس والمغرب. أما ثانيها، فيتمثل في كتب النوازل التي جمعت أجوبة فقهاء ينتمون إلى منطقة واحدة أو مدينة واحدة، مثل كتاب أحكام ابن سهل المعنون **الإعلام**



بنوازل الأحكام أو الأحكام الكبرى. أما الصنف الثالث، فيضم كتب النوازل التي اشتملت على أجوبة فقيه واحد، مثل فتاوى ابن رشد^(١).

٣. أهمية كتب النوازل وأشهر تصانيفها في منطقة الغرب الإسلامي:

تكتسي كتب النوازل أهمية كبرى في معرفة خصوصيات المجتمعات المحلية. فإذا كانت المصادر التاريخية التقليدية، مثل كتب التاريخ العام تركز على الحواضر الكبرى متجاهلة المناطق الأخرى، فإن النوازل الفقهية تسلط الضوء على النظم القضائية للمدن، ودور المفتين في إرشاد المتقاضين، كما تقدم جوانب مختلفة من حياة سكان الحواضر^(٢)، فهي تلقي نظرة عامة على علاقاتهم، وأنماطهم الثقافية، وأشكال تدينهم^(٣)، وعاداتهم المحلية. فضلاً عن ذلك تظهر أهمية الأرض في حياة سكان البادية. وعلاقاتهم مع المخزن، وكيفية استيلاء أهل الجاه والسلطة على أجود الأراضي، وأشكال التنظيم الجماعي في البوادي^(٤).

- (١) انظر: نور الدين أبو لحية، النوازل الفقهية ومناهج الفقهاء في التعامل معها (لبنان: دار الأنوار للنشر والتوزيع، ٢٠١٥).
- (٢) قدم محمد المنوني نموذجاً لكيفية توظيف النوازل الفقهية في كشف جوانب من الحياة العلمية في مدينة فاس. انظر: محمد المنوني، «لقطات من معيار الونشريسي عن الحياة العلمية في فاس المدينة»، في: التاريخ وأدب النوازل. دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زبير (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٥)، ص. ٨٧-٩١.
- (٣) على سبيل المثال تناول فتاوى ابن رشد بعض القضايا العقيدية والمذهبية في الغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي. انظر: رضوان مبارك، «حول بعض القضايا المذهبية والعقيدية في العصر المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد»، في: التاريخ وأدب النوازل، ص. ٧١-٧٦.
- (٤) من المفيد أن نشير هنا أن قضايا المياه قد احتلت حيزاً مهماً ضمن أدب النوازل بالغرب الإسلامي. انظر: عمر بنميرة، «قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل»، في: التاريخ وأدب النوازل، ص. ٧٧-٨٥.

وجدير بالذكر أن منطقة الغرب الإسلامي قد عرفت تأليف العديد من الكتب التي عُيّنت بفقهِ النوازل، من أشهرها نذكر:

- نوازل أبي عمران الفاسي، لموسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي الفاسي (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٩م)، مطبوع.
- الإعلام بنوازل الأحكام أو الأحكام الكبرى، لعيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي أبو الأصبغ (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٤م).
- فتاوى ابن رشد، لمحمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي أبو الوليد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٩م).
- نوازل أبي الحسن الصغير علي بن عبد الحق الرزوي الفاسي (ت ٧١٩هـ/١٣٢٠م).
- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، لأبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت ٨٤١هـ/١٤٣٨م).
- نوازل ابن زاغو، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ/١٥٠٩م).
- الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجمال غمارة، لأبي فارس عبد العزيز الزياتي الغماري (ت ١٠٥٥هـ/١٦٤٦م).
- الجواهر الثمينة في تصيير وهبة أولاد مدينة، ونتائج الأحكام في نوازل الأحكام، كلاهما لأحمد الرهوني التطواني (ت ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م).



* دراسة تطبيقية لأعمال نوازل بمنطقة الغرب الإسلامي

١. نوازل عبد العزيز الزياتي^(١)

عنون الزيات كتابه الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة. تناول فيه قضايا مختلفة تهم منطقة غمارة منذ بداية القرن ١٦م إلى غاية منتصف القرن ١٧م، وهي تتوزع على الأبواب الآتية:

الجدول رقم ١: تصنيف نوازل الزياتي حسب الأبواب الرئيسية

| عدد النوازل | الأبواب الرئيسية |
|-------------|-----------------------------|
| ٥٥ | باب الجنائز |
| ٥ | باب الطهارة |
| ٣١ | باب الصلاة |
| ٨١ | باب الصيام |
| ٨٨ | باب الزكاة |
| ١٢٦ | باب الجهاد |
| ٦٥ | باب الصرف والقرض وبيع السلم |
| ٦٠ | باب الأنهار والسواقي |

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن كتاب عبد العزيز الزياتي قد سلط الضوء على مواضيع متنوعة، تندرج جملها في إطار المواضيع العادية والمألوفة في كتب النوازل الفقهية، مثل

(١) هو الفقيه عبد العزيز بن أبي الحسن ابن أبي الطيب بن يوسف مهدي الزياتي الفاسي، ينتسب إلى آل الزيات من بني عبد الواد فأبوه الحسن بن يوسف الزياتي، رحل من بلده لطلب العلم بفاس فصحب الشيخ أبا المحاسن وحضر مجالسه فزوجه من ابنته. عاش خلال حقبة الدولة السعدية ولا يعرف بالتحديد تاريخ ولادته أما وفاته فكانت عام ١٦٤٥م.

الطهارة والصلاة؛ بالمقابل نسجل حضورًا لافتًا للانتباه لموضوع غير مألوف ويتعلق الأمر بموضوع الجنائز. فهل يمكن القول إن حضور هذا الموضوع يعكس جانبًا من التمثلات والتصورات الثقافية التي يتميز بها مجتمع غمارة القروي؟ إذا عدنا إلى باب الجنائز نجد أن عبد العزيز الزياتي تطرق إلى ثلاث مسائل رئيسية: أولها، تتعلق بماهية الموت. وثانيها ترتبط بالعبادات المتبعة في بلاد غمارة عند الوفاة. أما ثالثها فتتمثل في العلاقات بين الأحياء والموتى، أي: بين الناس والمقبرة. كيفما كان الحال سنركز على المسألة الثانية حيث سنعمل من خلال الأسئلة المطروحة على إبراز بعض العادات والأعراف التي ميزت المنطقة، وأشكال تفاعلها مع الشريعة الإسلامية.

لقد اشتمل كتاب عبد العزيز الزياتي على العديد من الأسئلة المتعلقة بالجنائز، انطلاقًا من ليلة الوفاة وكيفية تهيئة الميت وحمله إلى المقبرة، مرورًا بطقوس العودة من الدفن، مثل الاحتفاظ بحفنة من التراب أو بقطعة من كفن الميت أو من خشب نعشه، وصولًا إلى قراءة القرآن وتوزيع الصدقة في اليوم الثالث⁽¹⁾. لا شك أن هذه الأسئلة تكشف بعض الخصوصيات الثقافية والجغرافية لمنطقة غمارة المختلفة عن باقي مناطق المغرب؛ فهي تعبر عن حالة الارتباب والشك عند العامة تجاه العادات المتبعة لتهيئة الميت ونقل جثمانه ومدى مطابقتها أو مخالفتها لأحكام الشرع. وإذا ما انتقلنا إلى أجوبة الزياتي، فإننا نلاحظ أنها تظهر بوضوح ذلك التعارض والتنافر بين فقيه المدينة وفقيه البادية؛ إذ دأب الأول على استنكار العادات والأعراف المحلية باعتبارها مخالفة للمذهب المالكي؛ بينما حاول الثاني، وهو ابن المجال والأكثر دراية بالخصوصية

(1) محمد مزين، «الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب الجواهر للزياتي»، في: التاريخ وأدب النوازل، ص. 117-118.



المحلية، صياغة اجتهادات فقهية تمكن من المطابقة بين الشريعة والعرف^(١).

٢. نوازل الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله الوارزاني^(٢)

تدرج هذه النوازل ضمن الصنف الأول من كتب النوازل، وهي تتناول مواضيع مختلفة تنظم وفق التوزيع الآتي:

الجدول رقم ٢: تصنيف نوازل الوارزاني حسب الأبواب الرئيسية

| عدد الصفحات | عدد النوازل | الأبواب الرئيسية |
|------------------------------|-------------|-------------------------|
| ١٧ صفحة: من ص. ١ إلى ص. ١٨. | ٧٦ | باب العبادات |
| ١٥ صفحة: من ص. ١٨ إلى ص. ٣٣. | ٩٢ | باب الأنكحة وما يناسبها |
| ٣٣ صفحة: من ص. ٣٣ إلى ص. ٦٦. | ١٤٥ | باب البيوع وما شاكلها |
| ١٣ صفحة: من ص. ٦٦ إلى ص. ٧٩. | ٩٤ | باب الأحباس وما يضاهاها |

(١) تعد قضية الصراع والاصطدام بين فقهاء البادية وفقهاء المدينة ظاهرة لافتة للانتباه في تاريخ المغرب، من أبرز مظاهرها الصراع المرير بين فقهاء فاس وفقهاء الجنوب خلال الحقبة السعدية، كما نذكر أيضا الصراع المرير بين أبي الحسن اليوسي (١٦٩١-١٦٣١) وفقهاء فاس. للمزيد من التفاصيل انظر:

لطفي بوشنتوف، العالم والسلطان، دراسة في انتقال الحكم ومقومات المشروعية، العهد السعدي الأول (الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، ٢٠٠٤).

(٢) تميز محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي المتوفي عام ١٧٥٢م بعلمه الواسع وصيته الذائع، فقد كان من الفقهاء الذين كانت تبعث إليهم الأسئلة وترفع إليهم الواجهات من آفاق بعيدة. تبوأ نوازله مكانة علمية مرموقة خاصة في القطر الدرعي، إذ اشتهرت لدى النوازلين وكثر النقل عنها من طرف المفتين.

ومن المفيد أن نشير هنا إلى الإصدار الجديد الذي تناول مخطوط نوازل الوارزاني دراسة وتحقيقا. انظر:

محمد بن محمد بن عبد الله، نوازل محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي المشهور بالوارزاني الكبير، دراسة وتحقيق عبد العزيز أيت المكي (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٦).

نستخلص من الجدول أعلاه، أن هذه الفتاوى تميزت بالتنوع والشمولية؛ إذ تناولت جوانب مختلفة من حياة الإنسان. أما من حيث الكم، فنلاحظ هيمنة واضحة لنوازل البيوع، فقد بلغ عددها ١٤٥ نازلة، ومع ذلك فهي لا تغطي إلا ثلاث وثلاثين صفحة من مجموع صفحات المؤلف. ولعل ذلك يعكس بعض خصوصيات كتب النوازل التي تتميز بالإيجاز والاقتضاب. كما نلاحظ أن نوازل الأقباس وما يضاهاها قد احتلت المرتبة الثانية من حيث العدد، وهي تسلط الضوء على بعض جوانب العلاقات الاجتماعية بالمغرب في حقبة ما قبل الحماية. فمن العلوم أن المغاربة، سواء في البادية أو المدينة، كانوا شديدي الحرص على تحقيق التآزر والتضامن فيما بينهم من خلال تحبيس أملاكهم (منازل، أراضي ...) على أفراد ومؤسسات خيرية، قصد نيل الثواب والأجر استعدادًا للدار الآخرة^(١).

في مستوى آخر، نلمس حضورا لافتا للانتباه لبعض الكلمات في المعجم اللغوي لنوازل الوارزاي، مثل: "سئل"، و"أجاب"، و"قال". يظهر ذلك مدى الواقعية التي تميزت بها هذه النوازل التي تنطلق من حالات وقعت بالفعل، فطُرحت على الفقيه الذي يجيب عنها بما يمتلكه من زاد فقهي. كما يؤكد ذلك مدى انخراط شخصية الفقيه في الحياة العامة داخل المجتمع المغربي وتدييره للشأن العام، فضلاً عن ذلك، نلاحظ أن الوارزاي قد اعتمد في أجوبته على أقوال الفقهاء السابقين في حالات مشابهة، لا سيما فقهاء المالكية، وفي طليعتهم مالك بن أنس، إضافة إلى فقهاء مغاربة لهم شهرة كبيرة، أمثال أبي سالم العياشي وأبي الحسن الشاذلي. غير أنه، في حالة عدم وجود سابقة مشابهة، يبادر إلى استنباط الأحكام وإصدار فتاوى، مما يبرز النزعة الاجتهادية في فكر

(١) حرصت بعض العائلات العريقة في الحواضر المغربية على تحبيس بعض ممتلكاتها على أعمال البر والإحسان، مثل عائلة مصطفى بمدينة تطوان التي عثرنا في أرشيفها على وثائق تثبت تحبيسها لمنزل على طلبة العلم بالمدينة وكذا تحويلها أرض في ملكيتها إلى مقبرة. انظر كذلك:

Joseph Luccioni, *Le habous ou wakf: rites malékite et hanéfite* (Casablanca, Imprimeries Réunies), 1942.



الفقيه النوازلي، الذي كان قادرًا على مسايرة الواقع المعيشي بمستجداته ومتغيراته المختلفة^(١).

★ على سبيل الختم

إن الهدف من هذا العمل هو الإسهام في النقاش العمومي الدائر حول علاقة الدين بالمجتمع، باعتماد مقارنة تاريخية تسعى إلى استخراج المادة المصدرية الدفينة من مظاهرها، ثم دراستها وفق منهج رصين، وصولًا إلى نتائج منطقية وسليمة، تجنبًا لكافة الانزلاقات الفكرية والمفارقات التاريخية، التي يقع فيها الكثير من المثقفين والمفكرين، نتيجة عدم اهتمامهم بالمصادر التاريخية وانسياقهم وراء الآراء والانطباعات الشخصية والمقاربات السطحية.

كيفما كان الحال، يمكن القول إن فقه النوازل اكتسب أهمية كبرى في منطقة الغرب الإسلامي في حقبة ما قبل الاستعمار. فقد منح الشريعة الإسلامية المرونة الكافية والوسائل الناجعة للتعامل مع كافة الحالات والوقائع والإجابة عن كافة التساؤلات، ومن ثم فقد أسهم في تحقيق والاستقرار والأمن الاجتماعي بالمنطقة، حيث كان الفقيه النوازلي سواء في البادية أو المدينة فاعلًا رئيسًا في حل الخلافات وترسيخ قيم التضامن والتآزر بين أفراد المجتمع. والأكد أن تسليط الضوء على مثل هذه الجوانب كفيلا يفتح الباحثين المحليين على إعادة مسالة بعض الكتابات الفرنسية المنجزة خلال الحقبة الاستعمارية ذات الحمولة الإيديولوجية، التي تناولت تاريخ الغرب الإسلامي من منظور استشرافي مشبع بالأحكام المسبقة والتصورات النمطية^(٢).

(١) محمد فاروق نيهان، «أثر الفتاوى والنوازل في إثراء الفقه الإسلامي»، مجلة الفيصل، ع. ٢٧ (جمادى الآخر، ١٤٢٠، سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٩)، ص. ٢٢-٢٥.

(٢) من الأعمال المرجعية التي وظفت النوازل الفقهية في تجديد أسئلة البحث التاريخي وإعادة مسالة الكتابة التاريخية الكولونيالية نذكر:

أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان ١٨٥٠-١٩١٢) (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط. ٣، ٢٠١١).

انظر كذلك:

أحمد التوفيق، «الفتوى المواجهة للتاريخ»، في: التاريخ وأدب النوازل، ص. ١٨٧-٢٠٣.

- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان ١٨٥٠-١٩١٢) (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، ٢٠١١.
- أحمد التوفيق، «الفتوى المواجهة للتاريخ»، في: التاريخ وأدب النوازل. دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زبير (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، ١٩٩٥، ص. ١٨٧-٢٠٣.
- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، م.٣ (بيروت، دار المعرفة)، ١٩٨٥.
- رضوان مبارك، «حول بعض القضايا المذهبية والعقيدية في العصر المرابطي من خلال فتاوي ابن رشد»، في: التاريخ وأدب النوازل. دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زبير (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، ١٩٩٥، ص. ٧١-٧٦.
- عمر بنميرة، «قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل»، في: التاريخ وأدب النوازل. دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زبير (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، ١٩٩٥، ص. ٧٧-٨٥.
- عبد العزيز الزياتي، الجواهر المختارة لما وقفت عليه

من النوازل بجمال غمارة، مخطوط، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، د-١٦٩٨.

- لؤي صافي، العقيدة والسياسة. معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية (الدار البيضاء، منشورات الفرقان)، ٢٠٠١.
- عبد العزيز وصفي، «فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة. أهميته وخصائصه ومميزاته»، مجلة الشهاب، ع. ٤ (ربيع الثاني ١٤٤٠هـ/ دجنبر ٢٠١٨)، ص ٢٢٧-٢٩٦.
- لطفي بوشنتوف، العالم والسلطان. دراسة في انتقال الحكم ومقومات المشروعية. العهد السعودي الأول (الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق)، ٢٠٠٤.
- مسفر بن علي، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، (بيروت: دار الأندلس ودار ابن حزم)، ٢٠٠٣.
- محمد داود، تاريخ تطوان، مراجعة وإضافات حسناء محمد داود، ج. ١١، (تطوان: جمعية تطاون أسمين)، ٢٠٠٩.
- محمد المنوني، «لقطات من معيار الونشريسي عن الحياة العلمية في فاس المدينة»، في: التاريخ وأدب النوازل. دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زبير (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، ١٩٩٥، ص. ٨٧-٩١.
- محمد مزين، «الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب الجواهر للزياتي»، في: التاريخ وأدب النوازل. دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زبير (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، ١٩٩٥، ص. ١٠١-١١٧.
- محمد فاروق نبهان، «أثر الفتاوى والنوازل في إثراء الفقه الإسلامي»، مجلة الفيصل، ع. ٢٧٦ (جمادى الآخرة ١٤٢٠، سبتمبر/أكتوبر ١٩٩٩)، ص. ٢٢-٢٥.



- محمد بن محمد بن عبد الله الوارزاي، النوازل، مخطوط، المكتبة الوطنية، د- ١٨٤٧.
- محمد بن محمد بن عبد الله الوارزاي، نوازل محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي المشهور بالوارزاي الكبير، دراسة وتحقيق عبد العزيز أيت المكي (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)، ٢٠١٦.
- نور الدين أبو لحية، النوازل الفقهية ومناهج الفقهاء في التعامل معها (لبنان: دار الأنوار للنشر والتوزيع)، ٢٠١٥.
- Joseph Luccioni, *Le habous ou wakf: rites malékite et hanéfite* (Casablanca, Imprimeries Réunies), 1942.

